

التبيان في تفسير القرآن

(172) رحمته ومن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (73) ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (74) ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا ها توابها نكم فاعلموا أن الحق لله وحده وحدهم ما كانوا يفترون) * (75) خمس آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) " قل " يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عبدوا معي آلهة تنبئها لهم على خطئهم * (أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) * أي دائما * (إلى يوم القيامة) * بلا نهار ولا ضياء * (من إله غير الله يأتكم بضياء) * كضياء النهار تبصرون فيه، فانهم لا يقدر على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله تعالى، فحينئذ يلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غير الله وهذا تنبيه منه لنبيه (صلى الله عليه وآله) ولخلقه على وجه الاستدلال على توحيده ويبطل ذلك قول من قال: المعارف ضرورية. لانه لو كان تعالى معلوما ضرورة لما احتاج الامر إلى ذلك، لان كونه معلوما ضرورة يغني عن الاستدلال عليه، وما لا يعلم ضرورة من أمر الدين، فلا يصح معرفته إلا ببرهان يدل عليه. وقوله * (أفلا تسمعون) * معناه أفلا تقبلونه وتتفكرون فيه؟ وفي ذلك تبكيت لهم على ترك الفكر فيه، لانهم إذا لم يفكروا فيما يسمعون من حجج الله فكأنهم ما سمعوه. وقيل في قوله * (أفلا تسمعون) * قولان: أحدهما - أفلا تسمعون هذه الحجة فتدبرونها وتعملون بموجبها إذ كانت بمنزلة الناطقة بأن ما انتم عليه خطأ وضلال يؤدي إلى الهلاك.